القيم الاخلاقيّة وعلاقتهابالحرب

Moral values and their relationship to war

Dr. Muhammad Zaid Lakhvi,
Assistant Professor, Islamic Studies, University of Okara, Okara:
zlakhvi@uo.edu.pk

Abstracta:
It is a common perception that moral values are related to normal life of the human society. If there accurs any emergencey situation all laws and rules of daily rutine life become irrelevant. In such situation the urgency arised becomes the first priority to be settelled at any cost and through all means whether justified or otherwise. Upholding the moral values in any emergency especially in war like circumstances is normally considered an unnecessary practice. While the fact is that up keeping the moral values in any situation has always a very positive effect on results of that very situation. If wars are exempted from necessitating the upholding of moral values, it will breed such horrible results of war that humanity can not afford. So it is need of the hour to make the people realize the need of moral velues even during the war. This article is an effort to introduce the moral values in general and to prove the importance of moral values during war times.

Keywords: *Moral values, Relationship, Emergency situation, Wars, Results.*

القيم والأخلاق الحسنة، هي الأساس القوي الذي تُبنى عليه الحضارات فى العالم، ويحمي البشرية من كل ما يُسيء لها في منظومة حياتها، في مختلف مراحل نموها وتطورها في المجالات كافة. فالحياة من دون هذه الأخلاق، غالباً ما تعيش البشرية في دوامة من الفراغ الروحي، التي يوقعها في الفوضى والمشاكل الاجتماعية والسياسية، وغيرها من المشاكل. والأمم التي فقدت أخلاقها، فقدت معها أيضاً مقومات الاستمرار والبقاء في الحياة، فكم من الأمم الماضية انهارت حضاراتها بسبب طغيانها وفسادها الأخلاقي. إن فساد الأخلاق بين البشر، هو الطامة الكبرى التي تودي بالحضارة الإنسانية إلى الانهيار والفناء، والتاريخ خير شاهدٍ على ذلك. وفي هذا الإطار القيمي الرفيع، ما أحوجنا إلى التمسك ونشر وترسيخ مفاهيم وقيم الأخلاق

الفاضلة بين كل فئات المجتمع . فبهذه الأخلاق يمكن للإنسانية أن تستقر وتنعم وتتعايش مع بعضها البعض، في وئام ومحبة وتسامح وسلام.

تعرف الحرب مملوئة بالغلظة الخشونة يرى أن هناك ليس للحرب أي علاقة بالأخلاق والقيم الأخلاقية خاصة .قد يرى اجدر أن نختصّ السطور الإبتدائية لتعريف الكلمات الاساسية للموضوع وهي' القيم الاخلاقيّة' و ' الحرب '.نريد تعريفاً جامعاً لكى نفهم الموضوع فهماً كاملاً.نحسّ بحاجة هذا الفهم لاستغراق في عمق الموضوع ومعرفته .

القيم الاخلاقية

١- تعريف القيم الاخلاقية:"القيم" هي جمع قيمة معنا ها قدر الشئ .[1] و"الاخلاقية "هو اسم نسبة الى الاخلاق و الاخلاق جمع الخُلْقِ اوالخُلُقِ و معناه المروءة/ العادة/ السجيّة/ الطبع[2]. والخلق حال للنّفس راسخة تصدر عنها الافعال من خير او شرّ من غير حاجة فكر و روية[3] . مفهوم الاخلاق عبارة عن القيم و المثل و

[1] - إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، المعجم الوسيط، باب القاف، ٧٦٨/٢، طبع دار الدعوة، استنبول، تركية ، عدد الأجزاء ٢ .

[2] - لوئيس معلوف، المنجد ، ص١٩٤، الطبعة التاسعة عشر، المطبعة الكاثوليكية، بيروت .

[3] - المعجم الوسيط، باب الخاء، ١ /٢٥٢

المبادئ التي تضبط السلوك الانساني في جوانب الحياة المختلفة.[4] و علم الاخلاق علم موضوعه احكام قيميّة تتعلق بالاعمال التي توصف بالحسن او القبح.[5]

اعني من القيم الاخلاقيّة المقاييس والمستويات الاخلاقية التي قد اقام بها الانسان في المجتمع الانساني في العهود المختلفة السالفة من البدء حتى الآن. يحسب الانسان من جماعة اخيار الناس و اشرارها برعاية اخلاقه الحميدة و الشنيعة.

كلنا ننظر العالم الانساني من خلال عدسة أخلاقية ونرى الاخرين من حيث الاجرائات الأخلاقية . و نحكم تلك الاجرائات و عملاءهم وفقا لذلك .[6] حالة المجتمع الانساني رهينة بحالة القيم الاخلاقية . ان كان الناس يراعون يحفظون القيم الخلاقية الحسنة يكون المجتمع آمناً و سالماً. و ان فقدت القيم الاخلاقية الحسنة في مجتمع لا مانع له من الفساد والدمار.

٢-انواع الاخلاق: يُعبر عن الأخلاق بأنها إحدى الأسس التي تُنظم الحياة والمعاملات البشرية، كما تُعد المعيار الذي يُمكن أن نقيس به مدى تطور الدولة وتقدمها، لذا ينبغي على جميع الأفراد على حد سواء التزام مكارم الأخلاق التي حثت عليها جميع الأديان، من صدق، وأمانة، وإخلاص في العمل، وصلة الأقرباء، وتجنب الغيبة والنميمة، والابتعاد عن الحسد والحقد، وغيرها الكثير. تُساهم الأخلاق في بناء مجتمع يسعى أفراده للتطور في كافة المجالات السياسية، والاجتماعية، والدينية،

---

[4] - القطان،مناع خليل ـ الحديث والثقافة الاسلامية،ص٥٠ ـ طبع وزارة المعارف ـ المملكة السعوية ـ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ

[5] - المعجم الوسيط، باب الخاء، ١ /٢٥٢

[6] - Steven P. Lee, Ethics and War: An Introduction, p.4, Cambridge University Press, 2011.

والاقتصادية، فالأخلاق تُهذب أفكار الأفراد وسلوكياتهم، وتُؤسس أركاناً ثابتةً تقوم عليها حضارة إنسانية قوية، فضلاً عن الألفة وقوة الروابط بين الأفراد.

تقسم الاخلاق في القسمين الاوليين ، اولهما الاخلاق الحسنة أخرهما الاخلاق السيئة. قد تكون هاتان القسمين في جميع انحية الحياة الانسانية . منا ما تتعلق بالفرد و اخرى من هؤلاء الاخلاق التي تتعلق بالحياة الاجتماعية. الأن نلاحظ امثال من كل قسم أو نوع من الاخلاق.

(ا) الاخلاق الحسنة: اعني منها مكارم الاخلاق التي معروفة في جميع المجتمعات الانسانيانية .هؤلاء الاخلاق الحميدةحيث تكون سبب الشرف والمجد للفرد منفردا، فتكون أيضا باعثة العلم و النجاح للمجتمع مجموعا.

فهي كالصدق و الامانة و الايثار و العفو و الكرم و الوفاء والعفة و الاخلاص و التواضع و الشجاعة و كظم الغيظ و الاعتدال و العدل و السوية و الاخوة و النصيحة للكل و الشفقة على الصغير و و التوقير للكبير و علو الهمة و قوة العزيمة و طلب المعالي والتطلع الى المجد و الدعوة الى الحق و الصبر على الاذى والشكر على النعم و نقاء الضمير و طهارة النفس و استقامة السلوك. كل هؤلاء من القيم الاخلاقية السامقة و الرفيعة.

(ب) الاخلاق السيئة: تقابل الاخلاق المحمودة مساوي الاخلاق التي ترى اليها بنظرة حقيرة في المجتمعات الا نسانية المثقفة.هي تسيئ معرفة الفرد و صورة المجتمع باسائتها.

فهي كالكذب و النفاق و الخيانة والكبر والاختيال و التفاخر والحسد و الحقد و الطمع و الظلم و البخل واالجبن و الرياء والعجب والضعف و الوهن و

الضلال و اللؤم و الخشنة والخبث و الزيغ والانحراف و الغدر والغيبة و الطعن و الشتم كل هؤلاء من الاخلاق الدنيئة و الشنيعة.

٣-أثر الأخلاق على المجتمع: الفرد هو اللبنة الأولى للمجتمع. ثم تتكون الأسرة بجمع الفردين أعني الزوجين ثم تجمع الأسرة يكون المجتمع. اذا كان الفرد مزين بالاخلاق الكريمة و هكذا يكون كل واحد من أفراد الأسرة و المجتمع الذي مشتمل على الأسر التي مزينة بالاخلاق المحمودة يكون كمجتمع نموذجيّ لا ثاني له . والمجتمع الذي يحتوي على الأفراد الذين يملكون مساوي الاخلاق، الفساد فى ذالک المجتمع محتوم لا مانع له.

(ا) تاثير الاخلاق الحسنة على المجتمع: وجود الاخلاق الكريمة في مجتمع كوجود الروح في جسد. يكون المجتمع حيّ و قائم ما كانت توجد و تحفظ فيه القيم الاخلاقية العالية . لا يمكن استمرار الشؤن والمعاملات العادية في المجتمع بدون رعاية الاخلاق و الصفات الحميدة.

إن من مزايا حسن الخلق هو تأثيره القاطع والطيب في إيجاد التوفيق والفلاح للإفراد والمجتمع في الحياة . إذ أن أي شخص يتحلى بالأخلاق الكريمة يكون محبوبا لدى الإفراد والمجتمع فالناس في طبيعتهم الفطرية يميلون نحو الشخص الذي يتمتع بالأخلاق الحميدة ولا يتحملون سوء الخلق مهما كانت مكانته . أم اسوء الخلق فهو من العيب أوالمرض العضال الذي لاشفاء له وهو يسبب البغض والكراهية والنفور ويجر صاحبه إلى انقطاع المودة بينه وبين مجتمعه ، فإن الشخص الذي هو سيء الخلق الفظ الغليظ القلب الذي لا يألف ولا يؤلف يجد بين نفسه والآخرين متاعب كثيرة ولا يمكنه أن يرى فضائل المودة والرحمة والتعاون لأنه جلب على القساوة

معاملة الناس بالسيء , كما يحطم صاحب سوء الخلق من قيمة العيش حتى في نطاق أسرته .

الصدق و الامانة و ايفاء العهد ضروري جدا للتجارة البارحة و التعامل الاقتصادي وللاعتماد بين الأفراد في المجتمع لكى يعاشرون و يعاملون بدون الخطر الغدر و الخدعة. الطاعة للقانون و العدل لازم للامن و السلامة و استمرارالمعاشرة بالسهولة. النصيحة للكل السلامه و الشفقة على الصغير والتوقير للكبير يقرب بعضهم ببعض و يشد صلتهم بينهم. و تكونه ؤلاء الصفات الكريمه سبب الاتحاد والوحدة في المجتمع.

فاالصدق والأمانة والعدالة والوفاء بالعهد من الصفات الحميدة التي أوجبها الله وكذلك المواساة والتراحم والسخاء وسعة الصدروالتعاون والتسامح والأخوة الصادقة ينظر اليها الإسلام نظرة تقدير وإجلال كما ينظر إلى الصبر والإناءة والثبات والحلم وعلو الهمة والبسالة نظرة تعظيم واستحسان ويعد ضبط النفس والعفو , وتجنب الرذائل من مكارم الأخلاق التي يستحسنها الإسلام ويحض على التحلي بها. الايثار والعفو و كظم الغيظ مهم جدا لاستيصال المنافرة والحقد و البغض من قلوب الأفراد وهي أيضا تثبت وسلّما الى تشييد المجتمع.

(ب) <u>انعكاسات الاخلاق السيئة على المجتمع</u> : وعلى ناحية الأخرى ، الاخلاق الرذيلة تهلك و تفسد المجتمع. اذا فقدت القيم الاخلاقية النبيلة في مجتمع لا يمكن لة ان يقوم لان استمرار الامور العادية اليومية مستحيل بفقدان مكارم الاخلاق.

ان الاعتماد بين الافراد في مجتمع بسبب الكذب و الخيانة و نقض العهد يفسد معاملات التجارة و المعيشة والسياسة والمعاشرة العامة. نقض القانون و

الظلم و الرشوة و عدم وجود العدل تجوف مباني المجتمع وتشيع فيه الفساد والاضطراب. الكب و التفاخر و الحسد و الغيبة و الطعن و الشتم كل هؤلاء تنمي الافتراق و الانتشار و العداوة في المجتمع. الطمع و الحرص و الوهن ينعطف فكر الانسان الى المادية و البخل والنفع الشخصي. فينسى الانسان الامتياز بين الحلال و الحرام لطمعة و حرصه على المال و يفنى نفس في سبيل الهواء و يفسد في المجتمع. و المنافق يخدع نفسه و أخرين في مجتمعة و ما يصدر منه خير قط لعامة الناس.

ينعكس غياب الأخلاق بشكل سلبي على الأفراد والمجتمعات، وتتمثل آثاره السلبية فيما يأتي:

- انتشار الشعور بالقلق والإحباط؛ ممّا يؤدي إلى انخفاض إنتاجية الأفراد والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدرجة رضاهم أو سعادتهم.

- انعدام الثقة وخلق الشكوك بين الأفراد، ممّا يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية بشكل أساسيّ، والتي يُعد عامل الثقة أحد أهم الأسس فيها.

- انتشار الفوضى وعدم الالتزام بالقوانين، والذي يساهم في تراجع تنمية الدولة وتطورها اقتصادياً واجتماعياً.

- انعدام الشعور بالإنسانية؛ إذ تُصبح مصلحة الشخص وتحقيق رغباته أولوية تبيح له الاعتداء على الآخرين وأذيتهم لتحقيق أهدافه.

- فُقدان حق التملك، بحيث تصبح الملكيات متاحة للجميع، وليس بإمكان الشخص الدفاع عن ممتلكاته الخاصة أمام خطر السرقة أوالاعتداء.

- انتشار الفوضى، والتخلي عن العمل وممارسة الوظائف حتى الأساسية منها؛ لانشغال الأفراد بحرب البقاء.

فالحقيقة بينة من هؤلاء الامثلة ان الاخلاق الحسنة لا بد منه لاستمرار الشؤن اليومية و نجاح المجتمع. حسن المعاشرة يزيد بحسن الاخلاق. هي مكارم الاخلاق التي ضامنة للامن و السلامة و المحبة و الفلاح للانسان منفردا و للمجتمع مجموعا. واما الاخلاق السيئة هي أيضا تؤثر على المجتمع الانساني اثرا عميقا. اينما توجد تفسد و تهلک نظام الحياة في المجتمع.

علاقة القيم الاخلاقية بالحرب

يحسب على وجه العموم ان اذا بلغ المنازعة على سطح الحرب فلا قانون أو قيمة اخلاقية تراع حين المقاتلة في الحرب . واما القيم الاخلاقية هي تتعلق بحالة الامن . إن حسن الخلق، ولين الجانب، والرحمة بالضعيف، والتسامح مع الجار والقريب تفعله كلأمة في أوقات السلم مهما أوغلت في الهمجية، ولكن حسن المعاملة في الحرب، ولين الجانب مع الأعداء، والرحمة بالنساء والأطفال والشيوخ، والتسامح مع المغلوبين، لا تستطيع كل أمة أن تفعله، ولا يستطيع كل قائد حربي أن يتصف به؛ إن رؤية الدم تثير الدم، والعداء يؤجج نيران الحقد والغضب، ونشوة النصر تسكر الفاتحين؛ فتوقعهم في أبشع أنواع التشفي والانتقام .وهنا يضع التاريخ إكليل الخلود على قادة حضارتنا، عسكريين ومدنيين، فاتحين وحاكمين؛ إذ انفردوا من بين عظماء الحضارات كلها بالإنسانية الرحيمة العادلة في أشد المعارك احتداما، وفي أحلك الأوقات التي تحمل على الانتقام والثأر وسفك الدماء، وأقسم لو أن التاريخ يتحدث عن هذه المعجزة الفريدة في تاريخ الأخلاق الحربية بصدق لا مجال للشك فيه لقلت إنها خرافة من الخرافات، وأسطورة لا ظل لها على الأرض

و على هذا القياس مثل معروف في اللغة الاردية معناه في اللغة العربية ان " كل شيئ مباح في الحب و الحرب" نذكرها بالتفصيل في ما ياتي .

١. حقيقة جواز الكل في الحب و الحرب:

في عالمنا اليوم نرى حروبًا بين أفراد الشعب الواحد، ينتج عنها مئات الآلاف بل الملايين من الضحايا، كما أن المدنيين يشكلون في سياق هذه الحروب هدفًا مباشرًا للهجمات، لا سيما أن التزاوج بين التكنولوجيا الحديثة وعمليات القصف الاستراتيجي أفرزت قدرة غير مسبوقة على إسقاط الآلاف من القتلى، وكأن المنخرطين في هذه الحروب يقولون لنا: «عندما تقرع طبول الحرب فلتذهب الأخلاق إلى الجحيم».

ان الإنسان هو حيوان اجتماعي، إن يطلق بدون الحدود فيغتصب حقوق الآخرين . في سنة ١٥٧٨م كتب"John Lyly" فى كتابه " Euphues, the anatomy of wy " ان " Anye impietie may lawfully be committed in love which is lawless" يعني قد قانونية أي أن ترتكب المعصية في الحب الذي ينعدم فيها القانون . ثم كتب "T.Shelton" في كتابه " tr. Don Quixote"في سنة ١٦٢٠م ان " love and war are all one, It is lawfull to use sleights and statagems to attain the wished end" يعني الحب والحرب جميعا واحد،فمن مشروعة لاستخدام الحيل بالخداع لحصول النهاية ما تمنى . ثم في سنة ١٧١٠م كتب " Centlivre" في كتابه " Man\'s Bewitch\'d" ان " Stratagem ever were allowed of in love and war" يعني الحيل من أي وقت مضى سمح في الحب الحرب-و بعدهم في

سنة ١٨٥٠م "Francis Edward Smedley" كتب في " Frand Fairlegh" أن " All is fair in love and war " يعني جميع من العدل في الحب والحرب.[7]

تعيين الحدود و تحديد دائرة الانسان في جميع جوانب الحياة حسب الثقافة و الحضارة يحسن المجتمع الانسانى. اطلاق المرء كجمل بدون الخطام في اي ناحية الحياة هالك للمرء والمجتمع معا في الخلق و الثقافة و الامن. و اما الفكر الزائف ان كل شيئ مباح في الحب و الحرب لا يمكن تأييده لرجل سالم العقل و الفهم ـ كيف يمكن منح الاجازة لاعتداء جميع حدود الاخلاق في حجاب الحب الشهواني.

ان كان رجل شاب يحب احدى النساء لا يجد ضبط على نفسه و هو زمام حدود الاخلاقية الذي يمنعه عن وقع في الحرام بوجود العواطف الوفور في الحب. و ان انحلت زمام حدود الاخلاقية لا يبقى شيئ من العصمة و الحياء و تكون حالة المجتمع الانساني اشر من الوحوش. و امر الحرب أيضا لا تختلف من الحب في دمار المجتمع الانساني ان هي خالية من النظام الاخلاقي المحكم. ان اطلق القوي في الضعفاء و المفتوحين بدون القيود الاخلاقية فلا تمكن حماية الحقوق الانسانية و يكون المجتمع الانساني كالغابة مملوءة بالوحوش في صورة الانسان. لأن نار الغضب و الانتقام تعمى القلوب في الحرب و القتال. فلتكن هناك تقييد الاخلاق لمنع من الظلم و الاعتداء.

فهذا الفكر زائف ان " كل شيئ مباح في الحب و الحرب " لا حقيقة له في أي المجتمع الانساني المثقف و ان كان قديم أو جديد.

---

[7]- George Latimer Apperson, Dictionary of Proverbs, Page 355

٢- أهمية الاخلاق الحسنة في الحرب و أثرها على نتائجها:

قد علمنا في السطور السالفة ان الاخلاق الحسنة مهمة جدا في الحرب أيضا لبقاء و سلامة الانسان و المجتمع الانساني. حرية كاملة أو غير محدودة في استعمال السلاح والاستراتجية الحربية تجيئ الدمار و الفناء.

و مهما كان السبب هو لخوض الحرب، من المهم فرض قيود الحرب. سيئا كما هو أي حرب، يمكن أن يكون دائما أسوأ من ذلك، والقيود على أن الطرفين في حالة حرب تعترف في كثير من الأحيان عندما تقييد متى و كيف يقاتلون ابقاء الحرب من كونها أسوأ. جميع الثقافات عبر التاريخ، على ما يبدو، قد اعترف بأن هناك حدودا أن يكون على الحرب.[8]

قد يمكن للمغير ان يفتح البلاد و اجسام الناس بالقوة و السلاح فلا يمكن له ان يفتح قلوب الناس بدون الاخلاق الحسنة. دوام سيطرة الفاتح متوقف على فتح القلوب و الاذهان لأن اغراض الحرب و سلوك الحارب بالمعارضين حين الحرب و بعدها يؤثر عميقا على نتائج الحرب ـ هذه حقيقة تاريخية ان المهاجمين الظالمين الغاصبين لم يثبتوا سيطرتهم طويلا و ما كان بداً لهم الا الاخلاء من المناطق المفتوحة كما وقع بالاستعمار الافرنجي في بلاد شتى. ان كانت الحرب لاغراض التي لا تتعلق بنفع الناس المحروبين و ان كان سلوك المهاجم قبيح حين الحرب و بعدها. لا يمكن للحارب ان يمحى حقد الناس من قلوبهم بأي طريقة. هذا الحقد يكون يغلى في قلوب المفتوحين و يظهر في صورة الثورة اذا انتهز الفرصة.

---

[8] - Ethics and War,P.3

و على جانب أخر ان كان اغراض الحرب لصالح عامة الناس و يكون سلوک الحارب مزين بالاخلاق الكريمة حين الحرب و بعدها تكون الحالة عكس الحالة الاولى . اذا دخل النبي صلى الله عليه و سلم مكة فاتحا ما وجدوا المشركين سعة لمواجهته لانه كان مجهز بقوة اخلا قية و اغراض الحرب النبيلة و سلوک النبي ﷺ حين الدخول و بعد الفتح كان نموذجيا و فقيد المثال في حضا رة الجاهلية . و كان هذا أثر خلقه العظيم ان اعداه الظالمين كانوا يرجون كرامة من الفاتح المظلوم السابق . و ادى الفاتح المفتون السابق كلمات تاريخية التي كانت تخبر عن اغراضه الحربية الحميدة و هي " **لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم طلقآء**(يوسف ١٢:٩٢)".[9] قد شهد المؤرخون ان المفتوحين دانوا دين الفاتح برغبة انفسهم واستعدوا لتضحية انفسهم على نفس الفاتح الكريم بشدة حبهم له . و اذا هاجم المسلمون المنطقة الافريقية و اتقنوا سيطرتهم عليها فرأى المسيحيون من اسبانيا خلق المسلمين الحسن و سلوكهم الناصح بالمفتوحين قد دعوا المسلمين للهجوم على اسبانيا لكى يخلعون طوق الحكومة المسيحية الظالمة لانهم قد ايقنوا ان اغراض المسلمين الحربية و معاملتهم بالمحروبين حين الحرب و بعدها كانت النصح لعامة الناس بغير تفريق الدينية والمذهبية . واذا ما كان سلوک المسلمين و سيرتهم على منهج النبوى قد حكموا على اسبانيا اكثر من سبع ماءة سنوات . قد امكن كل هؤلاء برعاية القيم الاخلاقية في تنظيم الاهداف للحرب و معاملة الحارب بالمحروبين فى الحرب و بعدها .

---

[9] - الجهاد فى الاسلام . ص٢٣٧